

تفسير البحر المحيط

@ 23 @ هي كقوله : { أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مِّسْتَقَرًّا } . وقول
حسان : % (فشركما لخيركما الفداء وكأنه قيل : عظيمون درجة . وعندا بالمكانة لا
بالمكان كقوله : { وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ } قال أبو عبد
الله الرازي : الأرواح المقدسة البشرية إذا تطهرت عن دنس الأوصاف البدنية والقاذورات
الجسدانية أشرقت بأنوار الجلال وغلا فيها أضواء عالم الجمال ، وترقت من العبدية إلى
العندية ، بل كأنه لا كمال في العبدية إلا بمشاهدة الحقيقة العندية ، ولذلك قال تعالى :
{ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا } انتهى ، وهو شبهه بكلام الصوفية ، ثم
ذكر تعالى أن من اتصف بهذه الأوصاف هو الفائز الطافر بأمنيته ، الناجي من النار . %
{ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا
نَعِيمٌ مُّقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّاهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ }
قال ابن عباس : هي في المهاجرين خاصة انتهى ، وأسند التبشير إلى قوله : ربهم ، لما في
ذلك من الإحسان إليهم بأن مالك أمرهم والناظر في مصالحهم هو الذي يبشرهم ، فذلك على
تحقيق عبوديتهم لربهم . ولما كانت الأوصاف التي تحلوا بها وصاروا بها عبدة حقيقة هي
ثلاثة : الإيمان ، والهجرة ، والجهد بالمال والنفس ، فقبلوا في التبشير بثلاثة : الرحمة ،
والرضوان ، والجنات . فبدأ بالرحمة لأنها الوصف الأعم الناشئ عنها تيسير الإيمان لهم ،
وثنى بالرضوان لأنه الغاية من إحسان الرب لعبده وهو مقابل الجهد ، إذ هو بذل النفس
والمال ، وقد على الجنات لأن رضا الله عن العبد أفضل من إسكانهم الجنة . وفي الحديث
الصحيح : (إن الله تعالى يقول : يا أهل الجنة هل رضيتم ؟ فيقولون : يا ربنا كيف لا نرضى
وقد باعدتنا عن نارك وأدخلتنا جنتك ، فيقول : لكم عندي أفضل من ذلك ، فيقولون : وما
أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضائي فلا أسخط عليكم بعدها) وأتى ثالثاً بقوله :
وجنات لهم فيها نعيم مقيم ، أي دائم لا ينقطع . وهذا مقابل لقوله (وهاجروا) لأنهم
تركوا أوطانهم التي نشأوا فيها وكانوا فيها منعمين ، فآثروا الهجرة على دار الكفر إلى
مستقر الإيمان والرسالة ، فقبلوا على ذلك بالجنات ذوات النعيم الدائم ، فجاء الترتيب
في أوصافهم على حسب الواقع : الإيمان ، ثم الهجرة ، ثم الجهد . وجاء الترتيب في
المقابل على حسب الأعم ، ثم الأشرف ، ثم التكميل . قال التبريزي : ونكر الرحمة والرضوان
للتفخيم والتعظيم . برحمة أي : رحمة لا يبلغها وصف واصل . .
وقرأ الأعمش ، وطلحة بن مصرف ، وحמיד بن هلال : يَبَشِّرُهُمْ بفتح الياء وضم الشين خفيفة .

وقرأ عاصم في رواية أبي بكر : ورُضوان بضم الراء ، وتقدم ذكر ذلك في أوائل آل عمران .
وقرأ الأعمش : بضم الراء والضاد معاً . قال أبو حاتم : لا يجوز هذا انتهى . وينبغي أن
يجوز ، فقد قالت العرب : سلطان بضم اللام ، وأورده التصريفيون في أبنية الأسماء . .
{ عَظِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ
وَإِخْوَانَكُمْ ءَوْدِيَاءَ إِنَّ أَسْتَحَبَّوْا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ
يَتَوَلَّهُمْ مِّنْكُمْ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الطَّالِمُونَ } كان قبل فتح مكة من آمن لم
يتم إيمانه إلا بأن يهاجر ويصدم أقاربه الكفرة ويقطع موالاتهم ، فقالوا : يا رسول الله ،
إن نحن اعتزلنا من يخالفنا في الدين قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرننا ، وذهبت كادتنا
وهلكت أموالنا ، وخرجت ديارنا ، وبقينا ضائعين ، فنزلت . فهاجروا فجعل الرجل يأتية
ابنه أو أبوه أو أخوه أو بعض أقاربه فلا يلتفت إليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ، ثم رخص لهم
بعد ذلك . فعلى هذا الخطاب للمؤمنين الذين كانوا بمكة وغيرها من بلاد العرب خوطبوا أن
لا يوالوا الآباء والإخوة ، فيكونوا لهم تبعاً في سكنى بلاد الكفر . وقيل : نزلت في التسعة
الذين ارتدوا ولحقوا بمكة ، فنهى الله المؤمنين عن موالاتهم . وذكر الآباء والإخوان لأنهم
أهل الرأي والمشورة ، ولم يذكر الأبناء لأنهم في الغالب تبع لآبائهم . .
وقرأ عيسى بن عمران : استحبوا بفتح الهمزة جعله تعليلاً ، وغيره بكسر الهمزة جعله
شرطاً . ومعنى استحبوا : آثروا وفضلوا ، استفعل من المحبة أي طلبوا محبة الكفر . وقيل
: بمعنى أحب . وضمن معنى اختار وآثر ، ولذلك عديَ بعلی . ولما نهاهم عن اتخاذهم أولياء
أخبر أن من تولاهم فهو ظالم ، فقال ابن عباس : هو مشرك